

ظاهرة الإدغام في القراءات القرآنية
دراسة تحليلية في ضوء اللهجات العربية

محمد الحسن مختار بلال (*)

مقدمة

يشتمل هذا البحث على وجوه أداء صوتية تفنن العلماء العرب المسلمون في تتبعها ودراستها وتقعيدها وتعليلها، سابقين إلى كثير من قوانين علم وظائف الأصوات phonologie التي أرسنها الدراسات الصوتية الحديثة، كقانون الجهد الأقل Le moindre effort وقانون القوة Energie وقانون المماثلة Assimilation وغيرها.

يحاول هذا البحث أن يجلي بعض هذه القوانين والعلل الصوتية في

القراءات القرآنية

يعود تاريخ اهتمام علماء العربية بالصوت إلى عهد تقعيدهم القواعد وتأسيسهم النحو، بل يكاد يسبق ذلك، ولعل خبر أبي الأسود حين وضع رموز الحركات يجلي شيئاً من هذه الأولوية: جاء أبو الأسود إلى زياد فقال له: إنَّني كاتباً يفهم عني ما أقول، فجيء برجل من عبد القيس فلم يرض فهمه، فأتى بأخر من قريش فقال له: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين، ففعل. فهذا نقط أبي الأسود.

ومن هنا نشأت ألقاب الحركات في العربية، وعدت من أكثر ألقاب الأصوات توفيقاً ثم مضى علماء العربية يؤلفون في النحو والصرف مشوّبين بأحكام الصوت وعلله، حتى إن كثيراً من ظواهر النحو والصرف لا يمكن تفسيره إلا على أساس صوتي؛ إذ تكمن وراءه علّة صوتية تؤثر فيه وتعمل كما يعمل العامل في النحو، وكما تبنى الأبنية والصيغ في الصرف، ولا ريب أن الصرف أشدّ التصاقاً من النحو بالأصوات ونظرياتها ونظمها، إذ ضم بحوثاً

(*) أستاذ اللغة العربية المشارك بجامعة الإمام المهدى - كلية الآداب - قسم اللغة العربية.

ظاهرة الإدغام في القراءات

كاملة حقها أن تُدرج في علم الأصوات كالإدغام والإمالة والإبدال... ونحوها، بل إن كثيراً من مباحث الصرف الرئيسية تعتمد على علل صوتية بحثت عبر عنها المتقدمون بالحقّة والاستخفاف ودفع الاستثقال وما إلى ذلك.

وهكذا اختلطت بحوث الصوت بالنحو والصرف إلى حدّ ضاع فيه كثيرٌ من معالمها أو كاد، غير أنها عادت لتبرز على نحوٍ واضح في علمين آخرين نشأ في رحاب القرآن الكريم، خدمةً له، وصوتاً لترتيبه وتلاوته، وحفظاً لوجوه أدائه، وصدعاً بالأمر الإلهي المحكم: **چت ت ت چ** (1) وتفصيلاً لهدي

الرسول ﷺ الموحى إليه؛ (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف؛ فاقروا ما تيسر منه). وهما علما التجويد والقراءات، حيث تفشو الكثرة الكثيرة من قواعد الصوت العربي وعلله وأحكامه.

فقد شارك علماء القراءات والتجويد في إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه، إذ سجّلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا أصولاً وقواعد تمثل كثيراً من هذه الخصائص، مما كان له أعظم الأثر في علم الأصوات.

أهمية اختيار الموضوع

لما كان قانون المماثلة (أو المشاكلة والمشابهة والانسجام الصوتي بين أصوات اللغة) قانوناً شاملاً يتسع لكثير من أبواب الصرف والصوت كالإبدال والإمالة والإدغام، فقد اخترناه ميداناً لبحثنا إذ يمكن أن تعلّل الكثير من أحكام الإدغام على اختلاف أنواعه وأقسامه على ضوء القراءات القرآنية.

أسباب اختيار الموضوع

اخترنا (ظاهرة الإدغام بين القراءات القرآنية) موضوعاً لعنوان بحثنا، وذلك للأسباب التالية :

- 1/ إن هذه الظاهرة يذخر بها القرآن الكريم ولا تكاد تمر سورة إلا وتجده وهو يعانق الظواهر اللغوية الأخرى ويلتحم معها.
- 2/ إن دراسة ظاهرة الإدغام كانت من المواضيع التي ظلت تراودنا منذ فترة ،

(1) سورة المزمل الآية 4 .

ووجدنا فيه ميلا للكتابة لما للدرس اللغوي من قيمة جمالية تضيفى عليه آي الذكر الحكيم .

3/ خدمة كتاب الله ، وذلك من خلال استجلاء ما فيه من كنوز يستشهد بها في جميع مجالات اللغة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها.

أهداف البحث

- 1- بيان ما لظاهرة الإدغام من أهمية في القرآن الكريم ودراساته.
- 2- الاطلاع على ما تحتويه القراءات القرآنية من ثروة نحوية ولغوية.
- 3- فهم المحصول النحوي واللغوي عن طريق القراءات.
- 4- بيان أن القراءات القرآنية رافد وثيق للغة العربية.

الدراسات السابقة

أولى كثير من علماء اللغة والقراءات اهتماما بهذا الموضوع فقد ظهر ذلك جليا في كتب التراث إذ أفرد له سيبويه بابا في كتابه سماه (باب مضاعف الفعل واختلاف العرب فيه) كما تناوله ابن جني حيث قسمه إلى ضربين، الإدغام الأكبر ويشمل عنده النوعين السابقين والإدغام الأصغر وهو الذي يقول عنه: "وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وأدناه منه من غير إدغام يكون هناك" ⁽¹⁾ وجعل منه الإمالة وما إليها من ضروب تقريب الأصوات.

ثم طلعت علينا الدراسات اللسانية الحديثة بقانون لغوي عام ينتظم كل اللغات هو قانون الجهد الأقل Le moindre effort أو الاقتصاد في الجهد بالإنكليزية (conomy of effort)، والمراد منه أن جميع اللغات تنحو في النطق خاصة نحو بذل أقل جهد ممكن، والإدغام من أكثر الظواهر اللغوية مساساً بهذا القانون وتحقيقاً له. يقول د. إبراهيم أنيس في معرض حديثه عن تأثير

(1) الخصائص ابن جني ج2 ص 141 .

ظاهرة الإدغام في القراءات

الحروف بعضها ببعض: (والغرض من مثل هذا التأثير هو التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن تيسيراً لعملية النطق واقتصاداً في الجهد العضلي) (1).

وتناوله علماء القراءات كابن الجزري في (النشر في القراءات العشر) وابن خالويه في (الحجة في قراءات الأئمة السبعة)، كما أولى المأليقي عناية خاصة بالإدغام، إذ بسط الكلام على الإدغام مستوعباً كل ما يتعلق به من معانٍ، ودوافع، وأصول، وأحكام، وعلل، وأنواع، وموانع، حتى بلغ مجموع الصفحات المشتملة عليه خمسا وثلاثين ومئة صفحة .

منهج البحث

اتبعنا في كتابة هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي.

أدوات جمع المادة

اعتمدنا على مصادر ومراجع لعلماء قدامى ومحدثين بسطوا القول حول الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية علاوة على ما كتبه علماء القراءات في هذا المجال.

فرضيات البحث

- 1/ هل للإدغام علاقة بالقراءات القرآنية؟
- 2/ ما أثره فيها؟
- 3/ ما مفهومه عند علماء اللغة وعلماء القراءات؟
- 4/ كيف كان موقف اللهجات العربية منه؟
- 5/ هل اتفقت القبائل العربية القديمة كلها على ظاهرة الإدغام؟

خطة تقسيم البحث

اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة فصول جاءت على النحو التالي:
الفصل الأول: تناول هذا الفصل الإدغام، تعريفه، أحكامه، أحواله،

أقسامه.

الفصل الثاني: تناول هذا الفصل موقف القبائل العربية القديمة من الإدغام

(1) مبادئ علم الأصوات العام 196. وقد سَمَى الدكتور إبراهيم أنيس هذا القانون الأثر الرجعي للأصوات.

أما الفصل الثالث والأخير فهو فصل تطبيقي للإدغام في القرآن الكريم ، ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها.

الفصل الأول

الإدغام : تعريفه ، أحكامه ، أقسامه

تعريف الإدغام لغة واصطلاحاً

الإدغام لغة هو من دَعَمَ : دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها إذا غشيها وقهرها والدَّعَمُ: كَسَرُ الأنفِ إلى باطنه هَشْمًا. والدُّعْمَةُ والدُّعْمُ : من ألوان الخيل أن يضرب وجهه وجحافلته إلى السواد مخالفاً للون سائر جسده ، ويكون وجهه ما يلي جحافلته أشد سواداً من سائر جسده ، ويقال فرس أدغم ، والأنتى دغماء بينة الدَّغم ،. والأدَّعْمُ : الأسود الأنف وجمعه الدُّعْمان

والدَّعْمانُ : بالضم الأسود مع عِظَم ، وقد أرغمه الله وأدغمه وقيل أرغمه الله أسخطه وأدغمه : سود وجهه. ، ودُعْمان ودُعَيْمٌ اسمان (1)

والإدغام في الاصطلاح هو: " أن يلتقي حرفان من جنس واحد فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني أي تدخله فيه فيصير حرفاً واحداً مشدداً ينبو اللسان عنه نبوة واحدة" (2) . أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فتبدل الأول من جنس الثاني وتدغمه فيه وإنما تفعل ذلك تخفيفاً والذي يتضح من هذا أن الإدغام هو:

1 / إدخال صوت في آخر.

2 / الإدغام: أن يكون بين متجانسين أو متقاربين وهناك أمر ثالث لم يذكر هنا وهو وقوعه بين متمثلين.

3 / الناتج من الإدخال هو حرف واحد مشدد بدل الحرفين والغرض من هذا الإدخال هو التخفيف أي تيسير صعوبة نطق صوتين متمثلين أو متقاربين

(1) لسان العرب ،ابن منظور ، ج1 ص 366 .

(2) الجمل ، الزجاجي ، تحقيق ابن أبي شنب ،باريس 1957 ص 378.

ظاهرة الإدغام في القراءات

ومنهم من عبر عنه " تقريب صوت من صوت (1)

وظاهرة الإدغام قديمة لحظها علماء العربية منذ وقت مبكر فقد أشار إليها الخليل بن أحمد بقوله " اعلم أن الراء في اقشعر واسبكر راءان ، أدغمت واحدة في الأخرى والتشديد علامة الإدغام (2) وجاء بعده تلميذه سيبويه وكان الرائد إلى تخصيص مبحث مستقل كبير للإدغام تناول فيه كل مناحي هذه الظاهرة وقسمها على أقسام هي:

1/ الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً وهو إدغام المثلين

2/ الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد.

3/ الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.

4/ الإدغام في بعض الحروف المتقاربة في المخرج وأخرى غير متقاربة.

5/ الإدغام في بعض الألفاظ الشاذة.

وهي في عمومها تدور حول قطب واحد هو التخلص من ثقل النطق الذي يحدث نتيجة حركات اللسان حركات متماثلة في نطق أصوات متماثلة أو متقاربة إذ يقول " لأنهم إن بينوا ثقل عليهم لقرب المخرجين (3).

ويقول في (باب مضاعف الفعل واختلاف العرب فيه) أيضاً : والتضعيف

أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد وذلك نحو رددت ووددت

واجتررت وانقددت واستمددت وصاررت وتزاددنا واحمررت واحماررت

واطماننت فإذا تحرك الحرف الآخر فالعرب مجمعون على الإدغام وذلك فيما

زعم الخليل أولى به ، لأنه لما كان من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا

ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر ، فلما ثقل عليهم

ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة وذلك قولهم : ردي واجترا وانقدوا واستعدي

(1) الخصائص، ابن جني ، تحقيق محمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1952 - ج2 ص

139 وينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب ط مكتبة الخانجي القاهرة 1998 ج 4 ص 1698 .

(2) العين ، الخليل ابن أحمد الفراهيدي تحقيق د إبراهيم السامرائي ود مهدي المخزومي ، بغداد 1980 ج1 ص49.

(3) الكتاب ، سيبويه ، 2 / 430 .

الإدغام إدخال حرف في حرف آخر من جنسه بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا مثل: مد يمد مدا وأصلها مدد يمدد مددا وحكم الحرفين في الإدغام أن يكون أولهما ساكنا والثاني متحركا فلا فاصل بينهما . وسكن الأول إما من الأصل كالمد والشد وإما بحذف حركته كمد وشد وإما بنقل حركته إلى ما قبله كيعد ويشد.

والإدغام يكون في الحرفين المتقاربين في المخرج كما يكون في الحرفين المتجانسين، وذلك يكون تارة بإبدال الأول ليجانس الآخر كامحى وأصله انمحي على وزن انفعل، ويكون تارة بإبدال الثاني ليجانس الأول كادعى وأصله ادتعى على وزن افتعل⁽²⁾ وهو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة⁽³⁾.

ويعبر المحدثون من علماء الأصوات عن مثل هذا التقارب بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة -أي لغة- أو المماثلة Assimilation ويعرّفونها بأنها ، عملية تغير صوت ما في السلسلة الكلامية بحيث يماثل صوتا آخر مجاورا لهي ويعرّفون أثرها بأنه ((صوت أكثر قوة يؤثر في صوت أكثر ضعفا فيحيله شبيهاً به⁽⁴⁾) وهي نوعان: مماثلة تقدمية Assimilation Progressive ومماثلة

تراجعية Régressive. Assimilation

أما الأولى فتعني أن صوتا أثر في صوت تال له كما نجد في صيغة افتعل من دعا: (ادتعى) حيث يؤثر صوت الدال المجهورة في صوت التاء المهموسة - وكلاهما من مخرج واحد- فتقلب التاء دالا وتدغم في سابقتها لتصبح الكلمة: ادعى

(1) الكتاب ، سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1412 - 1992 ص 529 .

(2) جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، تحقيق كوكب ديب دياب ، ط1- 2004 المؤسسة الحديثة للكتاب ، بيروت لبنان ، ص 241.

(3) اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ص 51.

(4) نفسه 239 .

ظاهرة الإدغام في القراءات

وأما الثانية وهي التراجعية فتعني أن صوتاً أثر في صوت سابق له كما في إدغام قوله تعالى: **جِئْتُمْ قَوْمًا فَاصْطَلُّوا** (1) حيث أثر صوت الزاي المجهورة في

صوت التاء المهموسة - وهما من مخرجين متقاربين - فقلبت التاء زايًا وأدغمت في لاحقتها لتصبح القراءة: (خبردناهم). وعلى ذلك كل أمثلة الإدغام الصغير والكبير، بيد أن الكبير لا بد فيه من التسكين أولاً؛ لأن الحركة تحول بين الصوتين المتقاربين، فتمنع المماثلة (2)، وفي ذلك يقول ابن جني: ((ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسّة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه (3)).

أحكام الإدغام: للإدغام ثلاثة أحكام: الوجوب، والجواز، والامتناع.

وجوب الإدغام

يجب الإدغام في الحرفين المتجانسين إذا كانا في كلمة واحدة سواء كانا متحركين كمر ويمر وأصلهما مرر ويمرر أم كان الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً كمد وعض وأصلهما مدد وعضض وأما قول الشاعر "الحمد لله العلي الأجلل" فمن الضرورات الشعرية والقياس الأجل.

ثم إن كان الحرف الأول من المثيلين ساكناً أدغمت في الثاني بلا تغيير كشد وصد وأصلهما شدد وصدد وإن كان متحركاً طرحت حركته وأدغمت إن كان ما قبله متحركاً أو مسبوقة بحرف مد كرد وراد وأصلهما ردد ورادد، أما كان ما قبله ساكناً فتنقل حركته إليه كيرد وأصله يردد.

ويجب إدغام المثيلين المتجاورين الساكن أولهما، إذا كانا في كلمتين، كما كانا في كلمة واحدة مثل سكت وسكت وعنا وعلي واكتب بالقلم، وقل له، واستغفر ربك، غير أنه إن كان ثاني المثيلين ضميراً وجب الإدغام لفظاً وخطاً، وإن كان غير ضمير، وجب الإدغام لفظاً لا خطاً.

(1) سورة الإسراء الآية 97 .

(2) أثر الأصوات على القراءات ص 239 .

(3) الخصائص، ابن جني ج 2 ص 239، انظر مبادئ علم الأصوات العام 196. وقد عقد أبروكر ومبي للمماثلة فصلاً مفرداً في كتابه هذا وهو الفصل الثامن 193-201، وانظر في المماثلة أيضاً الصوتيات لمالمبرغ 86-88، والأصوات اللغوية 178-206، وأثر القراءات 231-239، وعلم الأصوات العام 94-96 و180، والدراسات اللهجية 341-344، والمنهج الصوتي للنبية العربية 205-213، ومعجم اللسانية .

د. محمد الحسن مختار

وشذ فك الإدغام الواجب في ألفاظ لا يقاس عليها مثل ألل السقاء والأشنان (إذا تغيرت رائحتها وفسدت) وضببت الأرض (إذا كثرت ضبابها) وشذ في الأسماء قولهم (رجل ضفف الحال) أي ضيقها وشديدها) ويقال ضف الحال بالإدغام أيضا ، وطعام قضيض أي فيه حصى صغار أو تراب ويقال قض بالإدغام أيضا وقضض بالتحريك وهذا يمنع في الإدغام لأنه اسم على وزن فعل (1)

جواز الإدغام : يجوز الإدغام وتركه في ثلاثة مواضع :-

الأول: أن يكون الحرف الأول من المثلين متحركا والثاني ساكنا بسكون عارض للجزم أو شبهه فتقول: لم يمد ومد بالإدغام ولم يمدد بفكه والفك أجود وبه نزل القرآن الكريم قال تعالى: **چ پ د د ن ا ن ا نه چ** (2) وقال تعالى: **چ ی یچ** (3).

وإن اتصل بالمدغم فيه ألف الاثنين أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، أو نون التوكيد ، وجب الإدغام لزوال سكون ثاني المثلين مثل لم يمدا ومدا ولم يمدوا ومدوا ولم تمدي ومدى ولم يمدن ومدنا إن اتصل به ضمير رفع متحرك فيمتنع الإدغام.

وتكون حركة المثلين المدغمين في المضارع والأمر اللذين لم يتصل بهما شيء تابعة لحركة فائه مثل رد ولم يرد وعض ولم يعض وفر ولم يفر هذا هو الأكثر في كلامهم ويجوز أيضا في مضموم الفاء مع الضم الفتح والكسر كرد ولم يرد ويجوز في مفتوحها مع الفتح والكسر كعض لم يعض ويجوز في مكسورها مع الكسر والفتح كفر ولم يفر (4).

تعلم من ذلك أن المضموم الفاء يجوز فيه الضم والفتح ثم الكسر والكسر ضعيف والفتح يشبه الضم في قوته وكثرته وأن المفتوح الفاء يجوز فيه الفتح ثم الكسر والفتح أولى وأكثر وأن المكسور الفاء يجوز فيه الكسر والفتح وهما

(1) جامع الدروس العربية ، الغلابيني ص ، 242 .

(2) سورة النور الآية 35 .

(3) سورة يونس الآية 88 .

(4) المرجع السابق ص 243 .

ظاهرة الإدغام في القراءات

كالمساويين فيه.

ويكون جزم المضارع حينئذ بسكون مقدر على آخره منع من ظهورها حركة الإدغام ويكون بناء الأمر على سكون مقدر على آخره منع من ظهورها حركة الإدغام أيضا.

واعلم أن همزة الوصل في الأمر من الثلاثي المجرد مثل امدد يستغنى عنها بعد الإدغام فتحذف مثل مد لأنها إنما أتت بها للتخلص من الابتداء بالساكن وقد زال السبب لأن أول الكلمة قد صار متحركا (1)

الثاني: أن يكون عين الكلمة ولامها ياءين لازما تحريك ثانيتهما مثل عيي وحيي فتقول عي وحي بالإدغام أيضا .

فإن كانت حركة الثانية عارضة للإعراب مثل لن يحيي ورأيت محييا امتنع إدغامه وكذا إن عرض سكون الثانية مثل عييت وحييت.

الثالث: أن يكون في أول الفعل الماضي تاءان مثل تتابع وتتبع فيجوز الإدغام مع زيادة همزة وصل في أوله دفعا للابتداء بالساكن مثل أتابع واتبع فإن كان مضارعا لم يجز الإدغام بل يجوز تخفيفه بحذف إحدى التاءين فتقول في تتجلى وتتلقى ، تجلى وتلقى قال تعالى : **جِئْتُكَ بِبُحْرَانٍ مِّنَ الْمَدِينَةِ** (2) وقال تعالى : **جِئْتُكَ بِبُحْرَانٍ مِّنَ الْمَدِينَةِ** (3) (أي تنزل وتتلقى) وهذا شائع كثير في الاستعمال . **جِئْتُكَ بِبُحْرَانٍ مِّنَ الْمَدِينَةِ** (4).

الرابع: أن يتجاوز مثلان متحركان في كلمتين مثل : جعل لي وكتب بالقلم ، فيجوز الإدغام بإسكان المثل الأول فتقول : جعل لي وكتب بالقلم غير أن الإدغام هنا يجوز لفظا لا خطا (5).

امتناع الإدغام: يمتنع الإدغام في سبعة مواضع

(1) نفسه 243 .

(2) سورة القدر الآية 4 .

(3) سورة الليل الآية 14 .

(4) القدر الآية 14 .

(5) جامع الدروس الغلابيني 244 .

د. محمد الحسن مختار

إن تصدراً كدندن ، الأول: كصفف ودرر على وزن (فعل) بضم ففتح والثاني : كذلك وجدد على وزن (فعل) بضمثين والثالث : ككلل ولمم على وزن (فعل) بكسر ففتح الرابع : كطلل وللبب على وزن (فعل) بفتحيتين والخامس: كجسس جمع جاس والسادس كاخصص أبي (وأصله اخصص أبي) فنقلت حركة الهمزة إلى الصاد وحذفت الهمزة والسابع : كيهلل أي أكثر من قول لا إله إلا الله (1)

أقسام الإدغام:

وهو عند القدماء ضربان ، كبير وصغير ، أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً ، أي أن الصامت الأول معه صائت قصير ، وقد نسبت القراءة على هذا الضرب إلى أبي عمرو ، وأما الإدغام الصغير فهو عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكناً ، أي أن الصامت الأول لا يفصله عن الثاني صائت .

وقسم ابن جني الإدغام إلى ضربين، الإدغام الأكبر ويشمل عنده النوعين السابقين والإدغام الأصغر وهو الذي يقول عنه: "وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وأدناه منه من غير إدغام يكون هناك" (2) وجعل منه الإمالة وما إليها من ضروب تقريب الأصوات، والذين يذهبون إلى الإدغام يذهبون طلباً إليه للتخفيف ، يقول أبو الفتح " والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى إنك في (قطع) ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة وزالت الوقفة التي كانت في الأول لو أدغمته في الآخر ، ألا إنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك: "قططع" و"سككر" وهذا إنما تحكمه المشافهة به فإن أنت أزلت تلك الوقفة والفترة على الأول خلطه بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه والحاقه به (3).

تعريف القراءة لغة واصطلاحاً

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ، دار الكتب المصري ، القاهرة ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ط 11440 – 1999 ، المجلد الثاني ، ص 398 .

(2) الخصائص ابن جني ج2 ص 141 .

(3) الخصائص ، ابن جني ج2 ص 143 .

ظاهرة الإدغام في القراءات

القراءات في اللغة جمع ، مفردتها : قراءة ومادة " قرأ " تدور حول

الجمع والاجتماع وكل شيء جمعته فقد قرأته، ومعنى قراءة القرآن على هذا : لفظت به مجموعاً⁽¹⁾.

والقراءات اصطلاحاً : هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها منسوبة لقائلها⁽²⁾ القراءة يقصد بها في علوم القرآن وجها من احتمالات النص القرآني⁽³⁾.

والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرهما⁽⁴⁾.

أنواع اختلاف القراءات ربما تفوق الحصر، كالاختلاف في الحركات الإعرابية والبنائية، والتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والمد والقصر، والتخفيف والتشديد، والترقيق والتفخيم، والإخفاء والإظهار، والفك والإدغام، والإمالة والروم والإشمام، على اختلاف أنواعه، وغير ذلك مما فصلها كتب القراءات⁽⁵⁾ وحصل الاختلاف فيها بين أئمة القراء السلف والخلف.

فالقراءة هي طريقة نطق وتأدية ألفاظ الآية ، ولأسباب معينة -يأتي ذكرها- حصل الاختلاف من قارئ لقارئ والنص القرآني على كل التقادير ثابت، لكن البعض يقرأ قوله تعالى **چ ن ث ذ** **چ والبعض يقرأها: (مَلِك يوم الدين) والخط القرآني القديم هو { ملك يوم الدين } ، واصطلاح اسم (القراءات السبع) للدلالة على وجوه القراءات السبع المشهور .**
الإدغام على ضوء القراءات القرآنية:
من خلال تفصيلنا لهذه الظاهرة علينا أن نعرض مذهب القراء ونكتفي هنا بالأمثلة التي اختلف فيها القراء وهي :

1 . الباء مع الفاء ، نحو قوله تعالى: **چؤ و و و و و و ي ي ي ي د**

(1) كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد .

(2) منظومة حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبعة المعروفة بالشاطبية للإمام القاسم بن فيره الشاطبي.

(3) التمهيد للشيخ المحقق محمد هادي ج2 ص 9.

(4) تلخيص التمهيد ص 281.

(5) معجم القراءات القرآنية ج1 ص126.

ظاهرة الإدغام في القراءات

ويعقوب بالإظهار⁽¹⁾.

3. الثاء مع الذال نحو **چ ژو** و **چ**⁽²⁾ فقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر

وعاصم بالإظهار مع الاختلاف وقرأ الياقوت بالإدغام مع الثاء، قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر (لبثتم ولبثت) كيف جاء بالإدغام وقرأ الياقوت بالإظهار⁽³⁾.

4. تاء الإفتعال، قرأ نافع **چ ن ث** **چ**⁽⁴⁾ بفتح التاء والخاء والطاء مشددة

مشددة وقرأ عاصم في رواية حمزة والكسائي (يطهرون)⁽⁵⁾ بطاء مشددة، ومن الشواذ قراءة الجحدري **چ پ ن** **چ**⁽⁶⁾ أراد يصطلحا ثم أدغم⁽⁷⁾.

5. الفعل المضعف، اختلفوا في إظهار الدال وإدغامها من قوله **چ ن ط**

چ⁽⁸⁾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بإدغام الدال الأولى

الأولى في الأخرى، وقرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بإظهار الدالين وجزم الأخرى، وقرأ الجمهور **چ ئو ئو ئي** **چ**⁽⁹⁾ بياء مكسورة بعدها

يا ساكنة ماضي عيي كرضي، وقرأ من الشواذ ابن أبي عبلة والوليد بن مسلم والقورصي عن أبي جعفر عن شيبه بن بحر عن نافع بتشديد الياء "أفيعينا" من إشباع في الثانية⁽¹⁰⁾

6- ألف المقصور في ياء المتكلم، من ذلك قراءة النبي ﷺ وأبي طفيل

(1) المرجع السابق ج 2 ص 6 .

(2) سورة الأعراف الآية 176 .

(3) المرجع السابق ج 2 ص 16 .

(4) سورة الحج الآية 30 .

(5) الحجة في قراءات الأئمة السبعة، ابن خالوية ج 1 ص 353 .

(6) سورة النساء الآية 128 .

(7) الحجة في القراءات السبعة، ابن خالويه ج 1 ص 29 .

(8) سورة المائدة الآية 54 .

(9) سورة ق الآية 15 .

(10) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني ص 26 .

د. محمد الحسن مختار

وعبد الله بن إسحاق وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي "هدي" (1).

7. تأثر تقدمي: قرأ أبو جعفر (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

و"جزء مقسوم) بحذف الهمزة وتشديد الزاي ومن الشواذ قرأ الزهري وقاتدة
"بين المر وزوجه" (2).

الفصل الثاني

اللهجات العربية والإدغام

هناك قبائل اشتهرت بالإدغام وكانت تميل إلى الخفة والسرعة في كلامها ،
بينما كانت هناك قبائل تذهب إلى الإظهار وتجنح إلى التأنى والوضوح فيه ،
فأيها كان يدغم وأيها كان يظهر ؟

1. الإدغام مع التحريك بالفتح على كل حال وهي لهجة بني أسد وبني تميم

، يعني أنهم يقولون : رد يا بني وإن ترد أرد وفر وعض (3).

فإنهم يدغمون المجزوم كما أدغموا إذا كان الحرفان متحركين فيسكنون
الأول ويحركون الآخر لأنهما لا يسكنان جميعاً وهو قول غيرهم من العرب وهم
كثير ... وأهل الحجاز وغيرهم مجتمعون على أنهم يقولون للنساء : أرددن وذلك
أن الدال لم تسكن ها هنا لأمر ولا نهى ، وكذلك كل حرف قبل نون النساء لا
يسكن لأمر ولا لحرف يجزم ، ألا ترى أن السكون لازم له في حال النصب
والرفع وذلك في قولك : رددت وهن يرددن وكذلك يجري غير المضاعف قبل
نون النسوة ، لا يحرك في حال وذلك قولك ضربني ويضربن ويذهبن فلم يكن
هذا الحرف يلزمه السكون في كل موضع وكان السكون حاجزاً عنه ما سواه من
الإعراب وتمكن فيه ما لم يتمكن في غيره من الفعل ، كرهوا أن يجعلوه بمنزلة
ما يجزم لأمر أو لحرف الجزم ولم يلزمه السكون كلزوم هذا الذي هو غير
مضاعف ومثل ذلك قولهم: رددت ومددت لأن الحرف بني على هذه التاء كما
بني على النون وصار السكون بمنزلته فيما فيه نون النسوة يدلك على ذلك أنه

(1) البحر المحيط ، أبو حيان ج 4 ص 262 .

(2) النشر في القرات العشر ، ابن الجزري ج 1 ص 406 .

(3) شرح كتاب سيبويه ، الكتاب ج 7 ص 516 .

ظاهرة الإدغام في القراءات

في موضع فتح (1).

2. الإدغام مع الكسر وهي لهجة كعب وغنم ونمير فهم يقولون : رد، عض

، وفر (2).

3- إذا اتصل المضعف بواو جمع نحو "ردوا" أو ياء المخاطبة نحو

"ردي" أو نون توكيد نحو "ردن"

اشترك الحجازيون مع غيرهم من العرب في الإدغام (3).

عليه يعلل الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة بأنها من المحتمل أن تكون من أنواع القياس الخاطئ ، أي أن هذه اللهجة تقيس فعل الأمر هنا للأمر من الفعل الثلاثي الصحيح الذي يلتزم فيه البدء بهمزة الوصل (4).

4- عند اتصال المضعف بضمير رفع فإن القبائل التي تذهب إلى الإدغام

تشارك الحجازيين هي الإظهار نحو: رددت ، ورددنا ، ورددن إلا أن الخليل

روى أناسا من بني بكر وغيرهم يدغمونه أيضا فيقولون : رد ، يردن ، ورددن

في الماضي والمضارع والأمر (5) وعلى هذه اللهجة جاءت قراءة: چئو ئو ئو ئو

چ أما إدغام الألف المقصور في ياء المتكلم فهي لهجة تنسب إلى قبيلة هذيل

ويستشهدون عليها بقول ذؤيب الهذلي (6).

سبقوا هوى واعنفوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

ويروي أبو الفتح عن قطرب قول الشاعر (7):

يطوف بي عكب في معد * ويطعن بالصملة في قفيا

(1) الكتاب ، سبويه ص 530 .

(2) المرجع نفسه ص 517 .

(3) اللهجات العربية والقراءات القرآنية ص 141.

(4) اللهجات العربية إبراهيم أنيس ص 114.

(5) شرح شافية ابن الحاجب ج 2 ، الرضي الإسترابازي ط 1939 ص 246 .

(6) شرح أشعار الهذليين ، البكري ط دار العروبة ص 11 .

(7) المحتسب ، أبو الفتح بن جني ص 16 .

فإن لم تتأروا لي من عكب* فلا أرويتما أبدا صديا

فالقبائل التي تذهب إلى الإدغام إذن هي تميم ، أسد ، غنم ، بكر بن وائل ،

كعب، نمير، هذيل في حالة واحدة .

أما تميم وأسد، فقد ذكرتهما من قبل، أما غنم فتنسب إلى أسد (1) ونحن

نعلم أن بكر بن وائل كانت تسكن جنوب الطرق وأما كعب ونمير فيظنان من

عامر بن صعصعة من هوازن وكانتا تسكنان العروض متجاورتين لتمييم (2) .

فحن نستطيع بعد هذا التفصيل أن ننسب الإدغام إلى تلك القبائل التي

كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية تميل إلى

التخفيف والسرعة في الكلام ، كما نستطيع أن ننسب الإظهار إلى بيئة الحجاز

المتحضرة وهي تميل إلى التأنى في الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه (3) وبقيت

لدينا هذيل وهي من القبائل الحجازية (4) وقد نسبت إدغام ألف المقصور في ياء

المتكلم فلعلها ذهبت إلي الإدغام في هذه الظاهرة وحدها ، وعلى أي حال فإن

الحجازيين كانوا يذهبون إلى بعض الإدغام كما رأينا .

الفصل الثالث

الإطار التطبيقي للإدغام في القرآن الكريم

(1) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب الفلقشندي ط بغداد ص 316 .

(2) صفة جزيرة العرب ، الهمداني بيرن 1384 ص 159 .

(3) اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، ص 56 .

(4) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، البكري ط 1876 ج 1 ص 11 .

إدغام المتماثلين:

إدغام المتماثلين إذا التقى حرفان متماثلان أولهما ساكن والثاني متحرك
أدغم الأول في الثاني مثاله: (ما لكم من)، (من نزل)، (بل لا)، (ما كانت تعبد)،
(اضرب بعصاك ..) اذهب بكتابي، (يدرككم)، (إذ ذهب).

جواز الإدغام والإظهار

يجوز الإدغام والإظهار مع السكت، والإظهار أرجح في قوله: **جئو ئو**

ئو ئوئي ئي ئب ئي ئي (1) فتقرأ على الإدغام " ما ليَهْلَكَ " أو تظهر (ماليه * هلك) ويوقف على الهاء الأولى وقفة خفيفة من غير قطع نفس. إذا كان الحرف الأول واواً أو ياءً وبعدهما مثلهما متحركان فلا وأما إذا كان الأول حرف لين، فيدغم في المماثل مثاله: {والذين آووا ونصروا} فتقرأ: (أوو نصرُوا) ويكون عندما يتفق الحرفان مخرجا ويختلفان صفة، ويكون في الأحرف التالية.

إدغام المتجانسين :

أ/ التاء الساكنة: تدغم التاء الساكنة- بلا غنة- في موضعين: إذا جاء بعدها دال أو طاء ت+ د {أثقلت دعوا} تقرأ: " أثقلنَّدَعُوا. " {أجيبت دعوتكما} تقرأ: " أجيبدَّعوتكما "

ت+ ط: {همت طائفتان} تقرأ: هَمَّطَائِفَتَان. {قالت طائفة} تقرأ: قَالَطَائِفَةٌ
ب- الدال الساكنة: تدغم الدال الساكنة -بلا غنة - إذا جاء بعدها تاء مثاله
" د+ ت: {قد تبين} تقرأ: " قَتَّبِين. " و{ومهدت} تقرأ: " ومهَّت. {لقد كدت} تقرأ: " لقدكيتَّ "

ج- الباء الساكنة: تدغم الباء الساكنة في الميم بعدها مع مراعاة الغنة في مكان

واحد في القرآن هو: (يا بني اركب معنا) تقرأ: " اركمَّعنا "
د- الذال الساكنة: تدغم الذال الساكنة - بلا غنة - إذا جاء بعدها حرف الظاء مثاله

الختامة

الحمد لله الذي وفقنا لكتابة هذه الدراسة الذي كان مجمل القول في الإدغام وعلاقته بالقراءات. وهو يدل على مقدار عناية علماء القراءات القرآنية بعلم الصوت، وأهمية سبقهم إلى كثير من أحكامه ودقائقه ، من خلال التفصيل لهذه الدراسة خرجنا بنتائج أهمها :

1/ إن الإدغام في اللغة العربية يكاد ينحصر في هذا الضرب الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالتالي متأثراً رجعياً فيما عدا هذه القراءات الأخيرة التي يظهر فيها تأثير الصوت الثاني بالأول .

2/ إن القراء الذين اشتهر عنهم الإدغام هم أبو عمرو بن العلاء والكسائي وحمزة وابن عامر وهم قراء البيئة الكوفية والشامية ، وإن الذين اشتهر عنهم الإظهار هم أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب ، وهم قراء البيئة الحجازية سوى عاصم ويعقوب فإنهما من الكوفة والبصرة .

3/ إن القراءة بالإدغام كانت مشهورة وفاشية بين القراء حتى لا تكاد تجد واحداً إلا وقد شارك فيه ولو بقدر قليل ومعنى ذلك أنه لا يقل عن الإظهار حتى عبر عنه عمرو بن العلاء قائلاً "الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره" أما لهجات القبائل في الإدغام فأثبتت كتبهم على أن الإظهار لهجة الحجازيين ، وأن الإدغام لهجة تميم

د. محمد الحسن مختار

4/شارك علماء القراءات والتجويد في إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه، إذ سجّلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا أصولاً وقواعد تمثل كثيراً من هذه الخصائص، مما كان له أعظم الأثر في علم الأصوات.

التوصيات :

- 1/دراسة ظاهرة الإدغام دراسة تفصيلية عن كل قراءة على حدة
- 2/تفصيل القول عن الإدغام في لهجة تميم لأنه أكثر القبائل العربية القديمة استخداماً لها
- 3/دراسة ظاهرة الإدغام بين اللهجات العربية القديمة والعربية الحديثة
- 4/العمل على تكثيف الدراسات والبحوث التي ترتبط بظاهرة الإدغام وبيان أوجه القراءات المختلفة فيها.
- 5/الاهتمام بالدراسات الصوتية والصرفية الأخرى المتعلقة بالقراءات كالإمالة والإبدال ونحوها لتجد حظها بين مثيلاتها ، بل إن كثيراً من مباحث الصرف الرئيسية تعتمد على علل صوتية بحثة عبّر عنها المتقدمون بالخفة والاستخفاف ودفع الاستئقال وما إلى ذلك .